

العلاقات الدبلوماسية الاندلسية مع الفرنك في عصر الامويين

للسيد عبدالرحمن الحاج
عربه : احمد خان

تقديم :

ان مدلول كلمة الفرنك بمعناها الخاص عند المؤرخين المسلمين يختلف اختلافا كبيرا عن معناها العام الشائع بين الجمهور، أما مدلولها العام فان المتأخرين أرادوا بها شعوب أوروبا ما خلا الاندلس الاسلامية. و الحق أن هذه الكلمة استعملت تارة لسكان الاندلس المسيحية (١) وأخرى لأهل البيزنطية (٢) وقد أطلقت هذه الكلمة تارة أخرى على الالمان (٣) بجانب الفرنك (٤) وكانت هذه المنطقة تحت سيطرة حكومتى ميرونجية و كارلوفنجية و المنطقة هذه كانت تشمل على فرنسا الحالية و قسم من أسبانيا كبير ، و ايطالية و ألمانيا الحالية و كاتالونيا كما أنها كانت تحكم أقاليم أخرى من أوروبا. فعندما استعمل المؤرخون المتأخرون هذه الكلمة بمعناها العام فإنهم أرادوا بها هذه المناطق من أوروبا. غير أن استعمال هذه الكلمة أى الفرنك لم يكن محدودا الى اقليم بعيد أو الى مجموعة أقاليم و ذلك لسبب التغييرات في نفوذ الفرنك وسيطرتها من وقت لآخر.

من الغريب أن المؤرخين المتقدمين قد استعملوا هذه الكلمة بدقة أكثر من المتأخرين ، فان المتقدمين كانوا يطلقون هذه الكلمة على جميع من خضعوا لحكم ميرونجية و كارلوفنجية (٥) و نجد نفس الظاهرة عند بعض المؤرخين المتأخرين. و أول من استعملها في هذا المعنى المحدود بين

المؤرخين هو: ابن عذارى المتوفى حوالى سنة ٥٦٩٥هـ / ١٢٩٥م (٦) و البكرى المتوفى سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٦م، (٧) الذى كان متأثرا بالمسعودى و كان المسعودى أول مؤرخ أظهر الفوارق بين شعوب أوروبا المختلفة و ذلك فى كتابه مروج الذهب . و مما حدد مدلول كلمة الفرنك بدقة جدا أحمد الرازى (ت ٥٣٢هـ / ١١٣٦م) (٩) و ابن حيان الاندلسى (ت ٦٩٤هـ / ١٠٧٦م) (١٠) و قد اتفقا على أن دولة الفرنك قد ابتدأت من الجزيرة ايبيريا دون البيرانس.

و منها كان مدلول كلمة الفرنك فان الحقيقة أن البلاد التى كانت تحت حكم ميروفنجية سهاها المسلمون ببلاد الفرنج ، و القسم الاكبر منها هو فرنسا الحالية ، (١١) فنظرا الى ذلك سأستعمل كلمة "دولة الفرنك" دلالة على المناطق التى كانت تحت سيطرة هاتين الاسرتين ، و سمي المسلمون هذه المناطق فيما بعد بالارض الكبيرة أيضا (١٢)

تاريخ موجز لملوك الفرنك :

و اما الذين حكموا بلاد الفرنك أولا كانوا من ميروفنجية . و كانوا قد أنشأوا منصب رئيس البلاد لتنظيم شئون العدالة و قد لعب هذا المنصب دورا هاما فى أمورها . و بعد مرور الزمان نال مقاما مرموقا . و عندما ضعف الحكم و آلت الدولة الى التدهور (١٣) تسلم هذا المنصب مسئوليات الملك و بذلك أصبح قويا و ظلت هذه العائلة متمسكة بذلك الى أن أصبحت تساوى الدولة فى شوكتها مما أدى الى اشتباك فشتت حرب أهلية بين نمسا و نوستريا . و بعد عديد من المعارك انتهت هذه الحرب بمدينة اكيثانية و تحررت بعض مناطق ألمانيا نتيجة لذلك (١٤)

و بمن تولى على هذا المنصب من أسرة كارلوفنجية بابن من هرستال و خلفه شارل مارتيل بعد وفاة أبيه ٥٩٦هـ / ٧١٤م (١٥) . و شارل هذا قاد جيوشه ضد المسلمين فى حرب بواتية التى كانت قد نشبت على أرض فرنسا سنة ٥١٤هـ / ٧٣٢م (١٦) و عندما مات مارتيل أعقبه ابنه

باين الصغير الذي نظم جيوشه و أعاد نظامه الملكي وبعد أن اشتد ساعده. أشعل نار الحرب ضد مسلمى الاندلس لكي يسترد مكانته ومجده القديم (١٧) و بتأييد من بابا روما عزل باين الصغير شيلدبرت آخر ملوك أسرة ميروفنجية من عرشه حيث تولى الحكم نفسه سنة ٥١٣٥/٧٥٢ م.

ومن المعلوم أن عبدالرحمن كان قد طلع على أفق الاندلس في أيام باين هذا سنة ٥١٣٨/٧٥٥ م وذلك بعد أن كانت أديلت الحكومة من ميروفنجية الى كارلوفنجية. (١٨) و لما مات باين قسمت الدولة - وفقا لتقاليد شائعة - بين ابيه شارلمان و كارلمان . فتولى شارلمان حكم الاندلس وقسا من اkitانية (١٩).

و أما كارلمان فحكم على نوسثيريا وبقية من اkitانية ولم يمض الا أيام قلائل حتى نشبت الحرب بين الاخوين فاسفرت عن انتصار شارلمان بعد مقتل أخيه سنة ٥١٥٥/٧٧١ م. و كان هذا السبب في توحيد البلاد. و تحت حكم شارلمان الذي طلع فيا بعد كرجل متوقد الذهن حاد الفكر من ملوك الفرنك .

و أما علاقته بالمسلمين التي كانت ودية و معادية في آن واحد فكانت معروفة لديهم ، اذ أنه تبادل سفارات وتحفا مع بنى العباس في عهدهم الزاهرونرى من وراء هذه العلاقات أيضا فانه حاول أن يضم الى بلاده بعض المناطق الاسلامية مثل جنوب الاندلس وغيرها من جنوب ايطالية في سنة ٥١٨٤/٨٠٠ م. ألبسه التاج البطريق ليو الثالث (٢٠) واتخذ توا ايكسلاشابيل كعاصمة لمملكته . ولكنه لم يعيش طويلا فعندما أشرف على الموت كل ابنه لوئى الاول بالتاج . ولوئى هذا ، اشتهر بورعه و زهده في الدنيا وزينه بالتاج مرة ثانية البطريق ستيفن الرابع سنة ٢٠١/٨١٦ م. (٢١) و لسوء حظه لم يتمتع نفس المكانة التي كانت لآبيه من المؤهلات الادارية والكياسية.

السياسية والنباهة الفكرية (٢٢) فلما فاض روحه سنة ٥٢٢٦/م ٨٤٠ م تفتت دولته وانكسرت في المناطق فالتقطها بنوه الثلاثة حسبا كانت مواهبهم. فشارل الثاني حكم نويستريا واكتانية والقسم الجنوبي من أسبانيا التي كانت مهدا اللغات الرومانية المنبثقة من اللاتينية. ولويس الثاني الجرمان تولى على حكم المقاطعات الشرقية من نهر رائن المشتملة على النمسا وباواريا و صوابيا وسكسوني ففيها كانت اللغة الالمانية شائعة. وأما لوثر فحكم على البلاد المتوسطة التي كانت مشتملة على فنلندة وبقية من نمسا على الضفة الغربية من نهر رائن و برغندي و اقليم ايطاليا (٢٣) و في هذه البلاد بأجمعها كانت اللغات الالمانية والرومانية أداة للتفهم بين الناس و بعد سنين قلائل قضى لوثر نجبه سنة ٥٢٤١/م ٨٥٥ و ترك مملكته نجبا لايدى بنيه فقسموها شرقسمة و قد ادى هذا لتناصر الى اردائهم على هوة الهلاك. و بعد حروب طاحنة بقي من كان يستحق البقاء من الاسرة هذه أى كارلوفنجية فمنهم شارل الساذج في فرنسا و كارل البدين بالمانية. و يرجع الفضل لتوحيد ألمانية و شمل كلمتها الى ثانيها و ظل هذا التوحيد لنحو ثلاث سنوات على الاقل ، من بعده كان قد عزل سنة ٥٢٧٤ م و مات بعد عام (٢٤) و أما الاول الذي كان ابن ثمان فكانت السلطة كلها في أيدي أود أى امير باريس . و من ثم تبادلت الاراء فأسفرت عن انتخاب شارل الساذج كملك لتلك الدولة ، فاستولى الحكم من ٥٢٥/م ٨٩٣ الى ٥٣١/م ٩٢٢ . و في السنة الاخيرة كان قد خيمت على دولته سحابة من الاضطراب و الفوضى من جهة روبرت : أمير ولاية باريس ، الذي كان أخا لاودو و خليفة . فبعد نهاية هذا الاضطراب و التشتت توج روبرت سنة ٥٣١/م ٩٢٢ كملك و لكنه كان قد قتل في السنة التالية تاركا وراءه ابنه الشاب الذي قام بعبء الحكومة بعده. و أما شارل الساذج خلفه ابنه لويس الرابع الذي

كان كيسا في السياسة وقائدا حربيًا كبيرًا (٢٥) وهو الذي كان قد تزوج من أخت أوتو الكبير، أمير ألمانيا لدمج الاسرتين. وقد اقام علاقات ودية مع هوغ لشوكتة الواسعة وقوته الكبيرة. وأما هوغ ومن بعده ابنه فننجا في سيطرة أكبر قسم من فرنسا قبل وفاة لوتر: ابن لوئيس الرابع سنة ٥٢٧٦هـ. ونجاح هوغ كان بمساعدة أخيه لوئيس الخامس الذي كان قد مات في السنة التالية، ولم يخلف ابنا له ولا بنتا، فبوفاته انتهت آل كارلوفنجية وهوغ توج ملكا لفرنسا في السنة نفسها التي مات فيها لوئيس الخامس ومن هذه النقطة يبدأ تاريخ ملوك الطوائف في فرنسا. (٢٦)

— ٢ —

النشاط الدبلوماسي من الطرفين

ان العلاقات بين الفرنك والاندلسيين كانت غير ما يرام وإذا أنها لم تكن ودية وعلى الاخص عندما شن بنو امية اغارة على الفرنك في بداية العهد الاموي. ولكن لم يلبث الفرنك حتى أدركوا أن اخضاع المسلمين ليس بأمرهين، فمد الفرنك أيدي الاخوة والمؤدة الى المسلمين فاستعجل المسلمون الى تلبية دعوة الفرنك الاخوية والودية، فالداخل مثلا لم يحاول طيلة حياته الاغارة على الفرنك، والواقع أن عبدالرحمان الداخل لم يكن يقيمه علاقاته الودية مع الفرنك بل فحسب بل كان يسعى الى التوادد مع أمراء المقاطعات الشالية وذلك عندما كان الداخل يسعى إلى توطيد أركان حكمه وقمع العصاة، (٢٧) ولما حاصر شارلمان السرقسطة ذهب عبدالرحمن الداخل لمقابلته ولكن شارلمان كان قد رجع الى بلده لسبب ما قبل مجئ الداخل (٢٨)، ولم يتعقب الداخل شارلمان إلا أنه هاجمه عند مضيق رونسيس وال، وفي هذه الحرب أضع شارلمان عددا من قواده وجزءا من جيشه في الطريق. وكان قائد

شارلمان الأكبر: رولان ممن نهبهم سيوف المسلمين وهذا هو الحادث الذي أقر في سياسة الاندلس أثرا بالغا وسبب لتغيير وجهة نظر الفرانك نحو المسلمين ولو أنها تلت هذا العهد فترة كان الفرانك يهاجمون فيها على المسلمين عندما يجدون الفرصة المواتية لذلك حينما بعد حين وتلا هذا عهد آخر صادق فيه المسلمون مع الفرانك وتبادلوا السفارات فيما بينهم (٢٩) ومن فترات السلام والامن بين المسلمين والفرانك كانت الفترة التي حصلت فيها لعبد الرحمن الداخل. وجاء في كلام المقرئ عن هذا العهد: وخاطب عبدالرحمن قارلة ملك الافرنج، وكانه من طغاة الافرنج، بعد أن تمرس به مدة. فأصابه صلب المكسر، قام الرجولة فإل معه الى المدارة ودعاه الى المصاهرة والسلم. فأجابته للسلم ولم تم المصاهرة. (٣٠)

وقد تضاربت الآراء في هذا القول: فوقف أشباخ المورخ الالماني الشهير في هذا الامر موقف الشك و وصفه بأنها أقصوصة. (٣١) و مرفى (Murphy) قد تحير فيمن اقترح للسلام، وبعد التفكير قال: انه عبدالرحمن هو الذي كان مد يد الود والاخاء الى شارلمان. (٣٢) وقال بعضهم انه شارلمان هو الذي كان قد تودد الى عبدالرحمن ولكن الأخير رفض أن يبادل الحب. (٣٣) فاذن المسألة الان هي:

من كان قد اختبر الآخر وجربه في الحرب؟

ومن الذي حاول أولا توطيد الامن والسلام؟

ومن منها قدم نفسه للمصاهرة أولا ومحاولا توطيد الامن والعلاقات؟ والواقع أن قول المقرئ ليس بواضح كل الوضوح أما اقوال المورخين الاوربيين فانها غامضة لا تلتقي ضوءا على الواقع التاريخي وذلك لأن المسألة هي: هل

عبدالرحمن هو الذي طلب استتباب الامن والمصاهرة من شارلمان، أو شارلمان نفسه هو الذي طلب من الدخول ذلك.

ولا يمكن أن نجزم بذلك الا بعد البحث والتحقيق في المواد التي تتعلق بذلك العهد و بعد التأمل في الحوادث والظروف في كتا الدولتين .

و يتضح من قول المقرئ أن هذا يرجع الى ابن حيان المؤرخ الشهير في الاندلس و الذي يعول عليه في تاريخ الاندلس . (٣٣) ، والمقرئ في اكثر الاحيان يعول على ابن حيان ، (٣٥) و أما صدقه في القول و صحته فلا مجال فيه للشك و الريب . علاوة على ذلك تؤيده الحوادث التالية .

من المعلوم أن شارلمان لم يهجم على عبدالرحمن الداخل الا في سنة ٧٢٨هـ / ٨٠١م . وذلك عندما استولى على برشلونه في سنة ٥١٨هـ / ٨٠١م كما قاله ليثى بروفنسال . (٣٦) و من الممكن أن الهجوم على الاندلس كان من الفرانك بعد وفاة عبدالرحمن الداخل وقبل الاستيلاء على برشلونه . (٣٧) و منها يكن من الامر فان اعتداءات الفرانك في سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م لم تكن من القوة اكبر من ذي قبل غم الاضطراب والفوضى السائدة في الداخل . و قد أثر ذلك تأثيرا سيئا في سياستهم الخارجية . فمثلا سكسونيون الذين كان قد قهرهم (٣٨) شارلمان من عهد قريب شقوا عليه عصا الطاعة مرة ثانية (٣٩) وذلك أدى الى فشل شارلمان و الى تغيير وجهة نظره الى المسلمين ، بعد أن كانت ودية ، لكي يدير أمور مملكته بالهدوء و يقضى على الازمات الراهنة . في نفس الوقت وقعت جيوشه في كارثة عظيمة عندما عبروا مضيق رونسيس وال . فادرك أن هذه المغامرات بلا جدوى و على الاخص ضد المسلمين الاقوياء و كذلك كان أمر مدينة سرقسطة التي أبعدت عنها جيوش الفرانك الكبيرة ، التي كانت مشتملة على قوات دول الفرانك (٤٠) و لما توجه عبدالرحمن الداخل الى سرقسطة لدفع عدوه ، أدهشه رجوع شارلمان خائبا خاسرا (٤١) و لو كان شارلمان قد فكر في احتلال مناطق المسلمين في البداية و تدميرهم ولكنه ما

أسرع أن أدرك الى أن الهجوم على المسلمين غير ممكن . فعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن لنا فهم رواية المقرئ وإنه تمرس به مدة فاصابه صلب الكسر ، قام الرجولة فال معه إلى المدارة .

و بذلك نقول أن شارلمان احتك بعبد الرحمن الداخل و تفس فيه . و ليس ذلك أن عبدالرحمن كان قد اختبر شارلمان لأن الداخل كان عارفاً بقدرة غريمه و انتصاراته منذ أمد بعيد . فلذلك لم يكن هناك حاجة الى الاختبار . و علاوة على ذلك يؤكد المقرئ في الصفحة التالية عن رجولة الداخل (٤٢) بعد أن هجم شارلمان على الأندلس ولم يحصل بشئ و شرع عبدالرحمن في قهر العصاة الذين كانوا حصلوا على امدادات عسكرية من شارلمان (٤٣) و يتم هذا كله عن شوكة عبدالرحمن وبأسه و شدة مرأسه . و كان عبدالرحمن يسعى الى اقامة العلاقات الودية مع شارلمان كما كانت بينه و بين بنى العباس من عهد قريب . و كان الداخل يريد أيضا ان يكرس نفسه لحل المشكلات الداخلية في مملكته . و نرى في هذه الظروف أن الداخل هو الذي اقترح على شارلمان اقامة الأمان و السلام فرحب به شارلمان و الأمر أسفر عن استتاب الأمان بينهما . (٤٤) و لأجل تعزيز هذه العلاقات اقترح شارلمان لعبد الرحمن الداخل ان يتقبل أخته كزوج له (٤٥) ولكن عبدالرحمن رفض الاقتراح و اعتذر نصف صحته أو تقدم عمره (٤٦) و بعد أن رحل عبدالرحمن الى جوار رحمة الله في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٧٢ هـ (٢ تشرين الأول سنة ٧٨٧ م) عاد الفرنك الى سيرتهم الأولى و بدأوا بشن الهجمات على الأندلس و الاغارة على المسلمين و نهب ممتلكاتهم و لكن هذه الهجمات لم تكن عنيفة مثل الأولى . و حث الفرنك شعب الأندلس الشألى على الخروج ضد المسلمين حيناً بعد حين فلذلك أرسل هشام الأول جيوشه لقهر الفرنك في تلك البقعة المجاورة و مزقهم شر ممزق حتى أنهم ما كانوا أن يفيقوا من انكساراتهم .

ولكنهم تمردوا واستولوا على برشلونه بعد بضع سنين أى فى ٥١٨٥هـ /
 ٨٠١م. ومن ثم حملوا الفرنك على مرسية و حاصروا طرطوسة تحت
 قيادة لوئيس ابن شارلمان سنة ٥١٩٢هـ / ٨٠٨م. ولكنهم انهزموا، و
 رجعوا الى مملكتهم الصغيرة، أمام جيوش الحكم التى قادها ابنه
 عبدالرحمن (٤٧) وفى السنة التالية توجه لوئيس الى المسلمين ولكنه
 لم ينجح وانهزم. ومن بعده دارت عدة معارك بين المسلمين والفرانك
 التى كان المسلمون فيها ظافرين منتصرين و كان الفرنك خائبين
 خاسرين. (٤٨) و التقى الجمعان ايضا على سيف البحر (٤٩) فعندما ضاق
 الفرنك من هذه الحروب ذرعا ولم يجدوا عندهم بأسا ليستمروا فى هذه
 الحروب فاووا الى عقد اتفاقية الهدنة سنة ٥١٩٥هـ / ٨١٠م (٥٠) ولكنهم
 لم يلبثوا ان مزقوها قبل أن يجف مدادها و كان هشام قد ارسل
 جيوشه لتحرير برشلونه وللإستيلاء على مناطق أخرى للفرانك (٥١) و
 جدت هذه الاتفاقية بعد عامين و ذلك بعد مفاوضات بين المندوب
 الاندلسى و شارلمان بائيكسلاشايبيل (٥٢) و لكن المسلمين لم يوفوا
 العهد مرة ثانية و حملوا على قارسيقة و مناطق أخرى التابعة لفرانك
 المجاورة لبيرنية تحت قيادة عبدالرحمن ابن هشام الاوول (٥٣) و اشتدت
 بغية المسلمين للائمن عندما أحسسوا بأس ادريس بالمغرب (٥٤) بالرغم
 من انتصارات المسلمين ضد الفرنك فى الميادين كلها فأرسل عبدالرحمن
 الثانى رسولا الى امبراطور لوئيس الاوول المتقى لتوقيع الاتفاقية سنة
 ٥٢٠١هـ / ٨١٦م. فالتقى الجانبان بكانبائن فى جوودى و ترجهوا الى
 ايكسلاشايبيل و تم اتفاق هناك بينهم ولكن هذه الاتفاقية كانت سيئة
 الحظ مثل الاولى (٥٥) و انهزم الفرنك، بعد معركة عنيفة، أمام جيش
 المسلمين والباسك سنة ٥٢٠٩هـ / ٨٢٨م فى مضيق رونسيس وال. و
 طلب لوئيس اجتماعا بايكسلاشايبيل بعد ثلاث سنوات من هذه الهزيمة
 و حضره ابنه بيبين و ملك اكوىتين و امراء الاقاليم لحدود اسبانيا.

وافضى فيه امبراطور بما في صدره من حقد للمسلمين وحرص الفرنك على الاغارة على المسلمين لاخذ الثأر منهم. ولكن لسوء حظه طار أنزون قائد الغوطيين سراً الى كاتالونيا و أراغون حيث حث شعوب تلك المناطق ضد الفرنك و كاد أن يستولى على مدينة أوزونه و لكنه أسرع الى عبدالرحمن شخصياً طالبا المساعدة منه لكي ينقذ نفسه و يصد جيوش الفرنك المهاجمة (٥٦) و دارت بين الفرنك و المسلمين بعد قليل من الزمان المعارك التي يذكرها ابن حيان الاندلسي (٥٧) أن غليان بن بریت بن غليان حضر مع أصدقائه في بلاط عبدالرحمن الثاني طالبا مساعدة الأمير ضد شارلس. فلبى عبدالرحمن دعوته و نجح غليان في مهمته هذه. و كان غليان يستطيع بهذه المساعدة أن يجتلب على برسلونا فأرسل مكتوب التهاني الى الأمير فرده الأمير كاتبا الى عبدالله بن يحيى أمير طرطوسة و عبدالله بن كليب أمير سرقسطة و أمرها لمساعدة الغليان. و حضر غليان بعد عامين ببلاط عبدالرحمن و شكره على صنيعته. (٥٨) عندنا مصدر آخر مؤيد لهذا الحادث أى أن المعركة دامت بين بين الشاب وعمه شارل و استنجد الأول من المسلمين و لذلك أرسل غليوم (غليان) الى قرطبة (٥٩) و كانت مساعدة المسلمين لبين نتيجة لغارات التي شنّها شارل على المسلمين حيث كان المسلمون و الفرنك في ظروف غير ودية بل كانوا في خصام ولكن ما أسرع أن انتهت الاشتباكات باتفاقية بين الطرفين (٦٠) و يمكن أن ليثى بروفسال ذكر هذه المعاهدة (٦١) و هناك عبارة أخرى غامضة ضد ابن القوطية انه كان رجلا معروفا بقسبي كان يرسله عبدالرحمن الثاني كسفير الى كارلو (شارلمان أو شارل) ملك الافرنج و الى ملك الروم (٦٢) و عند التفحص والتحقيق بكتب القوطية لم نجد شيئا و الا عن هذه السفارة ولا رجلا بهذا الاسم. (٦٣) ولكننا نرى أن ابن حيان الاندلسي يذكر العلاقات الودية بين شارل و أمير محمد و هما قد

تبادلا التحف والسفارة و اضافة على ذلك فقد سعيا في وضع سلام دائم بينهما. (٦٤) ويمكن أن هذه العلاقات نتجت عن الارهاق الذي سببته الحروب التي ظلت بينهم لمدة غير قصيرة ، ففي السنة ٥٢٥٢هـ / ٨٦٦م هم أمير محمد لتسوية النزاع بينهم فلبى شارل دعوته لأن شارل كان يريد التخلص من هجوم متوقع من المسلمين على سبتانية و ذلك لأنه كان ينظر الى الشؤون الداخلية للمملكة . (٦٥) فأرسل سفراءه الى قرطبة و تم الاتفاق بين الطرفين و بعد ذلك رجع السفراء الى مملكتهم محملين بالتحف و كلمات التهاني الحارة (٦٦) .

على أن في عهد الناصر ، الذي اجتمع ببلاطه سفراء من كل دولة ، (٦٧) وصل إليه سفير لوئيس الرابع لفتح باب المؤدة و كانت النتيجة أن عقد اتفاق بين الناصر و لوئيس الرابع و استجاب الاول لطلبات الثاني. (٦٨) و هذا العهد ذكره ابن خلدون في أثره الخالد و يمكن تعيين هذا العهد بعد مقارنة بين الجوادث العديدة التي وقعت قبل قدوم السفارة . (٦٩) و التعبير المشير الى هذا الحادث ليس بواضح فقال : و آخر من ملك الفرنجة بقاصية المشرق و هو يومئذ كلاة و احتفل السلطان لقدمهم .

و أن الكلمة "كلاة" ، غامضة لعلمها صورة مشوهة من كارلو (شارل) و ان كانت هذه التسمية من ابن خلدون و الاسباب الماضية متعلقة بها فاذن "كارلو" ، هذا عند ابن خلدون هو شارل الساذج الذي مات قبل هذه السفارة سنة ٥٣١٧هـ / ٩٢٩م فيظهر منه أن ابن خلدون افتكر فيه بأنه ظل حاكما لحين وصول السفارة هذه . والواقع أن لوئيس الرابع ابن شارل الساذج كان حاكما من الفرانك على هذه المملكة بايام السفارة (٧١) و أما هذا الاسم (كارلو) فقد أوجده المسعودي و قال : لزريق بن كارلوه (٧٢) اسم هذا ، بدون شك ، لوئيس الرابع

الذى ذكر آنفا . وهذا يتضح مما جاء فى ترجمة مروج الذهب بالفرنسية من باربي دمينيا . وذكره ابن خلدون ايضا بقوله ان فى سنة ٥٣٤هـ / ١١٤٣م : وأخر من ملك الفرنج وراء المغرب و هو : افوه .

و يظهر من هذه العبارة أن ابن خلدون أراد من كلمة "افواه" : هوج الكبير حاكم الضفة الغربية لدولة الفرنك (١١٣٩م - ١١٥٦م) (٧٤) فتشير هذه الظروف أن جانبى دولة الفرنك أى الشرقية والغربية كان يتباريان لكسب الصداقة مع قرطبة .

ألا أن العلاقات بين المسلمين والفرانك كانت على أحسن ما يرام فى عهد الناصرو ابنه الحكم وقد وردت من أرض الفرنك أعمدة الرخام لبنانية قصر الزهراء فهذا دليل على الصداقة المتبادلة بين الطرفين . (٧٥) و ذكر السعودى كتابا رأه فى فسطاط سنة ٣٣٦هـ / ١١٤٨م (٧٧) والذى قدمه غور مار الأسقف بمدينة زهرة الى الحكم ابن الناصر سنة ٣٢٨هـ / ١١٣٩م ويصفه أنه يحتوى على تاريخ ملخص لملوك الفرنك .

و يازم علينا أن نتعمق فى الأسباب التى دفعت الأسقف الى تقديم الكتاب الى الحكم . فان اسم هذا الاسقف وموطنه قد ورد ذكرها فى مروج الذهب باختلاف يسير فى طبقات مختلفة . (٧٨) رينو (Reinaud) المستشرق الفرنسى وصفه بجودمر (Godmar) أسقف سرونه فى كاتالونيا . (٧٩) التى كانت فى تلك الأيام تابعة للفرانك . و لكننا نجد فى طبعة مصرية قديمة لمروج الذهب (٨٠) أن هذا الاسم هو : غدمر أسقف زهرة مدينة فرانكية غير غرونة أو سرونه . فاسم هذا الأسقف الوارد فى الطبع المصرى لمروج الذهب يطابق المصادر اللاتينية التى ذكرته فى إحدى مدن الفرنك . وأما ذكر السعودى الكلمة : "افرنجة" فإنه أراد بها تلك الأرض التى كانت تحت حكم أسرتى ميروفنجية

وكارلوفنجية بالعموم و المناطق الواقعة بدون البيرانس على الخصوص. (٨١) و لما ذكر الكتاب المقدم الى الحكم أورد الاسماء لمملوك الفرانك من هاتين الأسترتين لا غير ، و أما الأستقف فلم يُذكر بأى وجه لعل لوئيس الرابع كان قد أرسله من المناطق المحتملة . فبناء على هذا لابد مدينة الأستقف كانت دون البيرانس . و يويد هذا الاستنتاج الأستقف شكيب أرسلان (٨٢) برأيه الجازم أن اسم الأستقف غدمر و كان أصلا من جرونه و كان مشرفا على كرسى الأستقف بسيرية (Ceret) فى إقليم روسيون. (٨٣) و لعل كلمة زهرة شوهدت من سيرية و يوكد رينو (Reinaud) أن الأستقف هذا قد أرسل الى الناصر كسفير حيث طلبه الحكم منه كتابا فى تاريخ مملوك الفرانك . و قد يستحسن هذا لأنه يطابق الحقائق الأخرى . و لا يخالف هذا لوصف بما قاله المسعودى : أن الأستقف قدم الكتاب الى الحكم . و من الغريب أن المسعودى لم يذكر الأسباب التى دعت الأستقف الى التقديم . فلا مانع لنا حيث نقول أن الكتاب أهدى الى الحكم بعد طلبه من الأستقف فى قرطبة و كان هناك كمبعوث دبلوماسى سنة ٣٢٨ / ٩٣٩ م . أما تفصيل هذه البعثة التى ذكرها المسعودى فلا نعرف عنها شيئا غير أنها انتهت فى نفس السنة و يقدم لنا أبوبكر محى الدين ابن العربى (٥٦٠ هـ - ٦٣٨ هـ) صورة خيالية لبعثة الفرانك التى حضرت الى بلاط الناصر (٨٥) و يقول : (و هذا تلخيص ما قال) ان التجهيزات الخاصة كانت قد أعدت و فرشت الشوارع من قرطبة الى الزهراء بالبساط و قام الشرطيون حافين على طرفى الشوارع . فعندما وصلت البعثة ، قابلها أمراء على باب القصر و هم كانوا لابسين الديباج و الحرير . فدهشوا أفراد البعثة عند رؤية هذه الأبهة و أدوا السلام أمام الأمراء ظانين الملك فيهم . و كلما طلع رجل أمام البعثة حسبوه ملكا و خضعوا له و لكنه أرشدهم الى مقر الملك . فأخيرا وجدوا الملك فى وسط ساحة القصر لابساً الملابس العادية لظهار عيشته المتواضعة

وكان جالسا على الفرش ، ناكس الراس وأمامه معجزة بخور وقرآن
 وبجانبه سيف . "هناك الملك" أشار بعض مقربي الملك . فخر أفراد
 البعثة ساجدين للملك وكفروا له فقبلوا يده . ثم رفع الملك رأسه وقال :
 "أمرنا الله أن نحكم بيننا القرآن هذا وأشار اليه فيما شجر بيننا . ومن
 لا يرجع الى القرآن ولا يجعله حكما له فيفصل بينه السيف هذا .
 وانكم مبعوثون الينا فلا نريد أن نقتلكم ونوصلكم جهنم و هو
 بئس البصير . " و بعد هذا القول الفيصل خلّ الملك سبيلهم للفكر
 والتعمق . فعقدوا العهد بعد النظر خاضعين لشروط المسلمين
 كماها . (٨٦)

ولا يتضح وضوحا تاما ما يعنى ابن العربي هنا بكلمة : الافرنج
 ولو كان مدلول هذه الكلمة سكان كاتالونيا كما ذكره ليثي برونسال (٨٨)
 وأيده هول (٨٨) فنواجه مشكلة أخرى : متى وصلت هذه البعثة ومن
 أرسلها الى قرطبة ؟ ولم نعثر على أية سفارة تكون مطابقة لهذه السفارة
 أولها صلة بها ، في المصادر التي بين ايدينا . فتحملنا الحقائق على أن
 نبذ هذه الفكرة ونتركها للذي نسجوها - والتي نرتاب فيه عدة
 نقاط منها :

- (١) لم حضرت البعثة وما كانت كيفية مشولها بين يدي الخليفة ؟
- (٢) مكانة الخليفة لما استقبلها في قرطبة والشروط التي فرضها على
 البعثة ؟ لم نعثر على الشرائط ونمط الكلام الذي نرى عند الناصر ولم
 نسمع عن أى خليفة أنه كره الناس لدينهم وأيضا يخالف هذا السلوك
 ما اعتاده امراء الاندلس من استقبال السفارات و تقديرها . كما لا يمكن
 هذا السلوك من الناصر الكريم و على الأخص أن العرف الدبلوماسي
 للاحتفالات كان قد ارتفع كما ينبغى . (٩٠) وفي ضوء هذا نجزم بالقول
 أن تصوير ابن العربي للتفاصيل عن هذه السفارة ليست صحيحة ولعلمها

يذكر السفارة التي وقعت في وقت آخر .

وتخطت العلاقات الودية مع الفرنك الوضوح الدبلوماسي في بعض الاحيان و على الاخص لما بلغت الاندلس ذروتها من القوة والبأس فاصبحت ينبوعا للعلم والفن وجعلت السفارات تؤمها من كل حدب و صوب . (٩٧) و أخبرنا رينو: أن جلبرت ، راهب أورائن الذي سار فيما بعد بطريقا باسم سائيلويستر الثاني (٣٩٠هـ - ٣٩٤هـ) ، ذهب إلى الاندلس لكي يدرس علم الحساب و فن الصحة . و كان قد رجع كعالم يجيد هذين الموضوعين . فطار صيته بين أبناء وطنه (٩٢) . و أما الخبر الثاني الذي لم نعره في أي مصدر غير هذا فهو:

أن شارلمان كان قد أرسل في نعومة أظفاره إلى الاندلس لحصول العلوم و الآداب . (٩٣) و لئن لم نجد أثر البعثة مسجلة فيما بين أيدينا من المصادر ولكن ظروف المهدنة المذكورة تشير إلى استتاب الأئمن و العلاقات الاخوية كما يذكر ابن حيان بعثات قادمة إلى قرطبة في بلاط الحكم من ملك الفرنج : هوتو سنة ٥٣٦هـ . (٩٤) و هذا موضوع يحتاج إلى شيء من البحث المتعمق الدقيق .

— ٣ —

سياسة اندلس الثائرة على الفرنك

ان علاقات الفرنك كانت غير ودية مع مسلمي الاندلس في جميع العصور و على الاخص في العهد الاول . و كان قد خيمت على أفق الفرنك خيفة التوسع من طرف المسلمين و هي التي ظهرت عند هجوم المسلمين لتوسيع حكمهم حتى وراء البيرانس و التي بلغت الدرجة القصوى في معركة تور (Tours) سنة ١١١٠هـ / ٧٣٢م . و ثبتت هذه الخيفة عند دخول عبدالرحمن الداخل الاندلس عندما هم بتوطيد اركانها

وشمل كلمتها تحت لوائه . ودفعت هذه الخيفة الفرنك الى انتهاز أية فرصة لتدمير المسلمين وتفريق جمعهم . ولذلك أحس الفرنك حاجة ماسة الى احتلال المناطق من الاندلس الشمالى . وظهرت هذه العداوة فى أشكال مختلفة كخروج العصاة فى دولة المسلمين وتأييدهم فى التمرد والاشتقاق (٩٥) وحاول الفرنك أن يتوسعوا فى مملكتهم كما كان ذلك بود المسلمين أيضا - فلذلك انتهز شارلمان فرصة ثمينة لشن الغارة على المسلمين وتأليب العصاة عليهم .

وشق سليمان بن يقظان الكلبى الاعرابى أمير برشلونه و جيرون عصا الطاعة و ناصره الحسين بن يحيى الانصارى أمير سرقسطة سنة ١٥٧هـ / ٧٧٤م وكان هذان الاميران قد خرجا بتأييد من الآخريين من الطغاة . ودام هذا الخروج سنوات طويلة . فقد اضطر الداخل على قهر العصاة بجنوب الاندلس رغم صعوبة الطرق الجبلية (٩٧) التى كانت مركز قواد العصاة وبعدهم من قرطبة و قربهم بدول الفرنك فاستقروا فيها بامدادات عسكرية منهم فأرسل الداخل قواته المسلحة تحت قيادة ثعلبة بن عبيد الجزاسى بعد عام و لكن ثعلبة فقد فشل و صار فى أيدي الاعرابى أسيرا . و على الرغم من هذا الانتصار فزعت قلوب الطغاة خوفا من بأس عبدالرحمن الداخل و عزمه (٩٨) فاجمع العصاة على طلب المساعدة من شارلمان و حرضوه على كسر شوكة عبدالرحمن الداخل . (٩٩) فذهب الاعرابى على رأس متحالفيه الى شارلمان سنة ١٠٦هـ / ٧٧٧م (١٠٠) لمفاوضات على هذه الازمة و كان شالمان ، عند دخولهم فى ساكسونى (١٠١) مشرفا على اجتماع عام بعد الاستيلاء على ساكسونى، فهنا اقترح الاعرابى عليه للتجمع ضد عبدالرحمن و القضاء عليه . و كانت الخطة ان يقود شارلمان الجيوش المجتمعة من ملكه و من مناطق العصاة فيسير الى الجنوب و يغير على قرطبة و هكذا سيمزق قوة عبدالرحمن الداخل شرمزق . و كان العصاة قد اجتمعوا

على سيادة شارلمان وتأييده ، (١٠٢) و كانوا قد ألقوا ثعلبة في أيديه كدليل لطاعتهم له والخضوع لاوامره .

وهنا نقف برهة لننظر في هذه البعثة . أى من وفد مع الاعرابى الى شارلمان ؟ لقد تضاربت فيها الآراء فقال بعضهم بأنها ضمت محمدا اباالاسود (١٠٣) وابن يوسف الفهرى وعبدالرحمن بن حبيب الصقلى . (ولا يغرب عن بالكم بأن عبدالرحمن (١٠٤) بن حبيب هذا ليس بأمير الافريقية الذى كان قد قتل سنة ١٣٢هـ / ٧٥٥م .) (١٠٥) ولم يتمكن المؤرخون المتأخرون أن يحيطون بهذه البعثة فقالوا ، عجزا عن غموضها ، أنها ما كانت الا خروجا على عبدالرحمن وجمع الكلمة ضده و دعوة لشارلمان للاغارة عليه . (١٠٦) فمهما كانت الظروف ولكننا واثقون بأن أباالاسود كان فى السجن (١٠٧) بقرطبة فى غصون هذه البعثة والخروج وقد استمر سجنه من ١٤٢هـ / ٧٥٩م (١٠٨) الى ١٦٠هـ / ٧٨٤م . (١٠٩) ونهاية سجنه كانت بالفرار فلذلك نستبعد امكان زيارته لشارلمان برفقة الاعرابى أو كحليف له . وأما ما يحض الصقلبى فاننا لا نجد أثارا ولا اخبارا تدل على مصاهرتة (١١٠) بالفهرى ولو فرضنا المصاهرة فليس بضرورى أن يتحالف الصقلبى بالاعرابى فى حلف سياسى . و نجد ثمة اقتراحا من الصقلبى للاعرابى وهو عند دخوله الاندلس من المغرب كنائب للخليفة العباسى المهدي بن أبى جعفر المنصور (١١١) و كان وقتئذ قد حط رحاله بمرسية (١١٢) أما الاقتراح فكان يخص بوحدة القوات المسلحة ضد الداخل . فلعل دوزى (Dozy) بنى افتراضه على هذا الاقتراح ولم ينظر الى الحوادث الجارية فيما بعد ، حيث رفض الاعرابى اقتراح الصقلبى ولم يعأبه فاخطط الصقلبى هذه خطوة عسكرية نتيجة لذلك . ولكنه لسؤ طالعته انهزم أما جيوش الاعرابى وقضى عليه سنة ١٦٢هـ / ٧٧٩م .

ولو نقارن بين وقت دخول الصقلبى الاندلسى ووقت استنجد الاعرابى

بشارلمان ليظهر لنا أن الصقليين دخل الأندلس قبل ذهابه الى شارلمان بضع أشهر على الأقل. ومن المحتمل أيضا أن الصقليين لم يراه حتى والى رجوعه من الفرنك و ذلك بعد معركة رونسيس وال(١١٣) وان الحقائق تشير أن الصقليين لا يمكنه قط أن يرافق الاعرابي الى شارلمان متأمرا ضد المسلمين ، كما لم يرافقه أبو الاسود.

ونقول باختصار ان الاعرابي كان قد اتحد بالطغاة الاندلسيين كالحسين بن يحيى الانصارى أمير سرقسطة وغيره(١١٤) أو اتفق بهم على الداخل. فنرى ولاشك فيه ، أنه ذهب الى شارلمان و كان معه عدد من مرافقيه لاندرى عنهم شيئا. وأما قول ليثى بروفنسال أن أبا ثور، أمير هيوسقا (Huesca)(١١٥) رافق الاعرابي الى شارلمان فهو مبنى على المصادر اللاتينية و المحفوظات الحكومية ولا نقيم لها وزنا.

و ذهب البعض الى أن أبا ثور قد لقي شارلمان عند وصوله الى باميلونا وقدمه بعض الرهائن(١١٦). ومن الممكن أنه قد اشترك في كل من الامر بن(١١٧)، ولكننا لا نقول هذا الا بالحدس والتخمين إذ لا توجد آثار دالة اليه من المصادر.

ومن المعلوم أن الاتفاق الذي قد وصل اليه العصاة والفرانك كان هدفه هجوما على الأندلس فسلم العصاة والمتألبة الى شارلمان كرهينة منهم وولاء له و رجعت البعثة بعد أهبة للهجوم كاملة. فبناء على الدعوة لكسر شوكة عدوه: عبدالرحمن ، أمر شارلمان لحشد القوات من دولته ومن المقاطعات المجاورة له من سيطرة الفرنك. وزحف هذا الجيش الجرار تحت قيادة شارلمان و ألقى عصا ترحاله بأكيتانية في أوائل الربيع سنة ١٠٦١هـ/٧٧٨م ، حيث قسم جيشه الى قسمين و توجه بقسم الى الأندلس و قطع البيرانس مارا من مضيق رونسيس وال فجمع القسمان أمام سرقسطة على ضفة النهر : ديورو

(Duero) . و في الطريق الى سرقسطة حاصر شارلمان باسبلونا عاصمة مملكة باسك (Basque) و احتل عليها بعد اشتباك يسير . و من الممكن أن الاعرابي و رفقاءه لقوا شارلمان هنا بعد خروجه من باسبلونا . وساروا نحو سرقسطة ، اينما اجتمعوا بنصف آخر من جيش الفرانك الذي قطع البيرانس من طريق جيرونه و برشلونه .

و غير هذا الجيش الجرار و المساعدة من العصاة شارلمان ففكر في الاحتلال على سرقسطة بالمهين ولكنه ما أسرع أن ادرك أن الظروف قاسية اذ علم أن الحسين بن يحيى الانصارى قد أسرع الى سرقسطة و جندها تجنيدا كاملا لدفع جيش الفرانك . و من المحتمل أن الانصارى كان قد رجع الى المسلمين بعد ولائه لشارلمان خوفا من نتائج علاقته مع الفرانك فدفعته الى الالهبة لدفع الغازه و الوقت الطويل الذي استغرق شارلمان في أمور طارئة . و ليس بغريب أن الاعرابي قد حاول بالانصارى أن يمنعه من الرجوع الى المسلمين ولكنه لم ينجح .

فشل شارلمان في هذه المعركة و لم يغنى جيشه الجرار و المساعدة عنه شيئا فدفعت سرقسطة جيشه و أبعدهم على الرغم من قوتهم المهيمنة و بأسهم الشديد (١٢٠) و أما الاعرابي فلم يستطع أن يساعد شارلمان في القبض على أية منطقة من مناطق المسلمين فساور في خاو شارلمان الظنون و الريب في ولاء الاعرابي فأسره و ألقاه في غياهب السجن (١٢١) و مما أدى شارلمان الى فشله خروج السكسونيين عليه عند غيابه عن مملكة لمدة طويلة (١٢٢) ، و سرعة رجوعه تاركا سرقسطة في شوال سنة ٨٧٧ م . فهكذا ضاعت قوته العسكرية وصيته الذائع من هذه الدواهي الفاجئة . و فشل شارلمان هذا حث الباسك الذين كانوا قد كظموا الغيظ من قبل فأعدوا عدة الشار و فاعدا ما أدركوا بأنه سيجتاز مملكتهم اشتعلوا غضبا فاجتمع الباسك و المسلمون لدفع الفرانك

عن كيانهم ولاذاقة شارلمان الويل والهلاك (١٢٣). ولعل شارلمان كان يتوقع هذه الحملة لأنه كان شن أسوأ الاغارة على عاصمته الباسك و دمرها تدميرا عند مروره بهذه المملكة من قبل ، فلم يقف من السير ولما مر من مضيق رونسيس وال حمل الباسك والمسلمون على مؤخر جيشه على الضفة الغربية لبيرانس قريبا من بامبلونا. و لم يمهل المغيرون لجيشه حتى أقطعوا مؤخره الذي كان محملا بأموال الرهائن والنهب فذهبت كلها في أيدي الباسك والمسلمين (١٢٤) و أما جيش الفرنك فلم يستطع أن يجمع شمله لظروف قاسية من الاستراتيجية و من المفاجأة العظيمة فذهب كله هباء منثورا. و ممن اجتاحتهم سيوف المسلمين كانوا فوارس كبراء و هم كاهن ، لسوطالعهم ، كانوا في مؤخر الجيش كأيديهاروسينشل و اينسلم و الا هم منهم رولان (١٢٥). وكان رولان هذا يعادل مئة فارس عند المقابلة و بعد موته صارت أعماله كصفات أسطورية في العصور الوسطى لأصحاب الأُدب والشعر (١٢٦). (و آثار الحرب هذه توجد هناك حتى اليوم حيث أن قبرى رولان و أيديهار موجودان و قد كتب عليهما يوم الواقعة : ١٥ اغسطس سنة ٨٧٨ م.) (١٢٧)

و كانت أوروبا بأسرها قد تأثرت من هذه الهزيمة و على الأخص و جهة نظر شارلمان الى المسلمين. والقارى حر بقوله أن الحادثة هذه هى الدافع الهام الى تم الاتفاق بين شارلمان و الداخل ، و دعوة المصاهرة من الاول للثانى . و يبدو أن اطلاق مسراح ثعلبة كان قدما عمليا نحو الاتفاق (١٢٨) ، و ذلك من جهة شارلمان .

وعسى أن تساور بعض الأذهان الشكوك بأن المسلمين كيف تعاونوا مع الباسك فى هذه المعركة؟ فهذا موضوع يستحق بالبحث و التحقيق . و الذى جاء فى المصادر التى بين أيدينا هو أن ابن الأثير (١٢٩) قال : ان عيشوم و مطروح ابنا الأعرابي شدا الاغارة على الفرنك

لانتقاذ والدهما. و من المحتمل أنهما قد ذهبا الى الانصارى للمساعدة لهذا الصدد و أعطاهما الانصارى امدادات عسكرية. (١٣٠) وقال بعض مؤرخى أوروبا أن الباسك كانوا مترصدين للفرانك لشفاء غليلهم للشأراً لأن الفرانك نهبوا أموالهم و سبوا نساءهم مرتان ، فوجدوا الباسك الفرصة فاغاروا على مؤخر جيش الفرانك و مزقوه. (١٣١) وأضاف مؤرخو أوروبا أن ابني الاعرابى تعاقبا مع رجالهما شارلمان لانتقاذ والدهما و لنهب اموال الفرانك. (١٣٢) و ساعدهما المسلمون الذين كانوا يعيشون بجوار الباسك. (١٣٣) فنقول اختصارا ان هذه الاحزاب (اي المسلمون و الباسك) اتحدت لدفع الفرانك ، عدو الجميع. (١٣٤) فانهم ، ولا شك فيه ، أغاروا على مؤخر الجيش للفرانك و مزقوه شر ممزق. و هذا النجاح اتحد المسلمين و الباسك. و نجد هذا الاتحاد عند مؤرخى المسلمين كما اعترفه مؤرخو أوروبا. و مما حرض المسلمين و الباسك على الوحدة العسكرية هو أن المسلمين كانوا مهرة في تخطيط عسكري و لكنهم كانوا جاهلين بهذا المناطق المجاهلة. و الباسك ، من ناحية أخرى كانوا عارفين حق المعرفة بأرضهم غير أنهم جهلاء في أمور عسكرية فبالوحدة هذه استطاع الجانبان على تمزيق جيش الفرانك (١٣٥) فعند التأمل المعنى هذا ذهبنا الى أن اختلاف القولين ليس بشئ ، لأن الاول يختص بأمر خاصة حيث الثانى يتناول الأحداث التى جرت فى المعركة. (١٣٦) ولا غرو أن يبان المسلمين بهذا الصدد غير تفصيلى و لكنه بصحة كاملة بجانب أهميته الخاصة. (١٣٧)

و بعد العرض التفصيلى لهذه الحادثة نرجع مرة أخرى الى خروج المسلمين ضد المركز و مساعدة الفرانك لهؤلاء العصاة فلا نجد بعد خروج الاعرابى و قهره رجلا هاما شق عصا الطاعة لملوك قرطبة لأن أكثر العصاة الكبار كانوا قد قتلوا أو هربوا من الأندلس. (١٣٨)

ولكن سلسلة الخروج لم تنقطع ولم تخمد نار حقد الفرانك ضد المسلمين المساعدة للعصاة عليهم غير أنها لم تبلغ شأن الأولى. و أبو ثور أمير هيوسقا (Huesca) أرسل رسوله الى طولوس (Toulouse) عاصمة اكتيانيا لتوقيع العهد بينه وبين لوئيس بن شارلمان (١٣٩) ولم تهدنا المصادر الى اتمام هذا العهد ولا نعرف عن مصير هذه البعثة شيئا، ومن الممكن ان الفرانك لم يلبوا دعوة أبي ثور لانهم كانوا محالفين بقرطبة بعد حرب رونسيس وال، فرجع أبو ثور بعد اليأس من الفرانك الى قرطبة وأظهر عند المسلمين أخوته بهم ولاء لهم. ولكنه بعد بضع سنين تمرد مرة أخرى على قرطبة وذلك بعيد وفاة هشام و جلوس الحكم الأول على العرش. وفي نفس السنة خرج بهلول بن مروان المعروف بالحجاج على قرطبة في المناطق الشمالية واحتل على سرقسطة. في هذه الظروف انتهز سليمان وعبدالله البلسي ابنا الداخل وعما الحكم الأول الفرصة وأسرعوا الى الاندلس من المغرب لجمع أعوانهما ضد الحكم الأول. فذهبا الى المناطق الشمالية واجتمعا مع أبي الحجاج. فانضم هؤلاء الطغاة الى أبي ثور وعقدوا العهد ضد قرطبة. (١٤٠) وصمموا على طلب المساعدة من الفرانك. والمصادر العربية تقول أن البلسي ذهب الى الفرانك وطلب منهم مساعدة عسكرية ضد الحكم. (١٤١) ومن الظن أن أبا ثور قد رافق البلسي واكنا لانجد شيئا من المصادر التي تدعم هذا الظن أو تدحضه. (١٤٢) حضر البلسي ببلاط شارلمان ولبي دعوته للمساعدة فأرسل جيشا تحت قيادة ابته لوئيس ملك اكسيتانيا، الذي احتل على جيرونة ووصل بعد ذلك الى المناطق الشمالية مصحوبا ببعض العصاة. (١٤٣) ومن المحتمل أن العصاة قد دعوا شارلمان الى الاغارة على قرطبة ولكن هذه الاغارة كان أصغر شأنًا من اغارة الاعرابي. مهما كان بأس الجيوش وصرامته لكن الحكم درأ هذه الاغارة عنه. فرجع الفرانك خوفا من نقض العصاة عهدهم وكيلا

تعيد أزمة رونسيس وال مرة أخرى ، فخفضوا العصاة نتيجة لذلك الحكم وسلموا سرقسطة الى مركز المسلمين: قرطبة. وجاء في بعض أخبار تاريخية أن عبدالملك وأخاه عبدالكريم ابني عبدالوحيد بن مغيث عاونا البلنسي في هذا الخروج ولكنهما رجعا الى طاعة المركز فيها بعد فاكرمها الحكم و قدرهما تقديرا. (١٤٤) وفي السنة ١٩٠ هـ / ٨٠٩ م أعلن عمروس أمير سرقسطة ولاءه لقرطبة و احتل توا على المناطق التابعة لأوريلو، الذي كان أميرا في أراغون للفرانك. وعندما طلب الفرانك منه أن يرد هذه المناطق فأجابهم عمروس بأنه معرضها على شارلمان. ولما أرسل شارلمان بعثات الى عمروس للفاوضات، أبي أن ينجز بما وعد ولم يسلم المناطق. فرجعت بعثة شارلمان الى عاصمتها خائبة. (١٤٥)

وفي سنة ١٢١٢ هـ / ٨٢٨ م تمرد محمد بن عبدالجبار بن راحلة في ميريدا (Merida) ضد قرطبة و أيده أمير اkitانياه لوئيس و عاونه تعاونا عسكريا. (١٤٦)

وفي سنة ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م عند اختتام حكم عبدالرحمن الثاني خرج موسى بن موسى بن قيسى أمير المناطق الشمالية على قرطبة و كان هذا الخروج قد أصبحت من عاداته. فقطع البيرانس من قرب أرغل (Urgel) ورواغورسا (Rivagorsa) و حمل على سبتمانيا. وشارل البدين انتهز هذه الفرصة ووصل بموسى جبل المؤدة والسلام و أتخفه تحفا ثمينه (١٤٧) و رأى الفرانك حقد موسى ضد قرطبة فايدوه بامدادات عسكرية. وعندما هجم موسى الفرانك لم يؤيده المسلمون لأنه كان حاقدًا بالمسلمين أيضا (١٤٨) فلهدا السبب مد الفرانك أيديهم الى موسى على الرغم من هجومه فقطعوه كل انقطاع من المسلمين. و كان غالب بن حفصون متحالفا بسانشو، فأثارته أحزاب الفرانك الموجودة في أسبانيا المسيحية فاسد اتحاده بالمسلمين بالخروج عليهم و قد عاونه الفرانك أيضا. (١٤٩)

ورأينا العلاقات هذه على نطاق واسع بين الطغاة من المسلمين والفرانك في عهد الداخل فانقطعت شيئاً فشيئاً فيما بعد حتى لم تبق منها شيئاً . وكان حكومة الفرانك في العهود الاولى على ذروتها من القوة والوحدة على الأخص في عهد شارلمان كما نجد دويلات أسبانيا الجنوبية جعلت في نفس الوقت توطد أركانها فهذا السبب لم تجرؤ على تأييد العصاة من المسلمين—وفي هذه الايام كانت أوضاع الاندلس غير صالحة ولكنها جعلت تصلح فيما بعد يوما فيوما . و بجانب الفرانك كانت الأوضاع مثل المسلمين على الأخص بعد وفاة شارلمان ، حيث أن دولة الفرانك كانت عرضة للجدال بين ابني شارلمان وورثاء الاسرة الآخرين .

وأما الاسبانيا المسيحية صارت على درجة رفيعة من القوة و أغرت عصاة المسلمين قوتهم وتأييدهم وأيديهم قرابة أسبانيا المسيحية منهم . ما كانت حكومة الفرانك في هذه الايام على شئ من القوة فتوجه طغاة المسلمين أنظارهم الى اسبانيا المسيحية للمساعدة والتعاون بين المصالح المشتركة . ولكن كان مصير هذه العلاقات مثلما سلف للفرانك عندما أصبحت حكومة الاندلس على ذروة من القوة و الاستقرار.

المراجع

- (١) ابن خلدون: العبر. بيروت. ١٩٥٨م/٤، ٢٥٢، ٣٠٧، ٣٥٦، ٣٩٥، ابن الخطيب: أعمال الاعلام . تحقيق ليثي بروفنسل بيروت ، ١٩٥٦م: ١١٤-١١٥ الاحاطة في أخبار غرناطة تحقيق م. ا. عنان . قاهرة ١٩٥٥م ١٣ / ١٤٢ ، القلقشندى : صبح الاعشى قاهرة ١٩١٥م ٥ / ٢٧٢ ، ابن فضل الله العمري : مسالك الألبصار دارالكتب المصرية خ: ٥٥٩ : ٢ / ٥٦٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ تحقيق تورنبرج لائيدن ٧١-١٨٦٥م ٦ / ٩١ ، ٥٨ / ٧ ، ياقوت : معجم البلدان قاهرة ١٩٠٦م ٨ / ٤٢ .
- (٢) ابن خلدون : ٢٧٥ .
- (٣) ابن الخطيب : ٣١٩ .
- (٤) ابن خلدون : ٢٥٦ ، ٢٧٦ ، ٣٩٦ ، ابن الخطيب : ١٢ ، ٢٣ ، ابن الأثير : ٩٢ / ٦ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٩ ،

- (٥) الرشيد ابن الربير: كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله الكويت ٢١٩١٧: ٥٧٣.
- (٦) ابن عذارى: البيان المغرب، تحقيق ليثى بروفسال ليدن ١٩٥١م ١٠٧، ٩٧، ٧٢/٢.
- (٧) أبو عبيد البكري: المسالك والممالك خ: ٨٠/٣٩٠، مكتبة جامع القروين ورق: ١٢٣.
- (٨) المسعودى: مروج الذهب تحقيق مينا رباريس ١٨٦٤م، ٣/٦٦-٧٥.
- (٩) مونس: "الجغرافية و الجغرافيون" في مجلة الاندلس سنة ١٩٥٩م-٦. أحمد العذارى: نظام المرجان، تحقيق الاهواني ميدرد: ١١٩.
- (١٠) ابن حيان: برواية القرى في نفع الطيب: ٣١٠/١، ٣٤٣. وقد استعمل كلمة الافرنج غيره وهم: المسعودى و احمد العذارى و أبو عبيد البكري.
- (١١) كان المورخون المسلمون يعرفون كلمة "الفرانك" كابن اثيرو ابن الخطيب في كتاب الاعمال ٧٤٠، ابن الاثير: ١٠٣/٤.
- (١٢) عبد الواحد المراكشى: المعجب، تحقيق العريان، القاهرة سنة ١٩٦٣ ١٢٩:
- (١٣) M. A. Inan: The Moorish Empire in Spain: 1960: I/78.
- (١٤) نفس المرجع:
- (١٥) The Cambridge Medieval History II: 126, 536.
- (١٦) نفس المرجع:
- (١٧) Reinaud: Muslim Colonies in Spain, Lahore: 83.
- (١٨) س ١٠. عاشور: العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦١: ١٩٠/١.
- (١٩) نفس المرجع ١٩١.
- (٢٠) The Cambridge Medieval History II: 128-129.
- (٢١) س ١٠. عاشور: ٢٠٥.
- (٢٢) ايضا: ٢٠٦.
- (٢٣) نفس المرجع: ٢٠٦-٢٠٨.
- (٢٤) نفس المرجع: ٢٠٨.
- (٢٥) نفس المرجع: ٢٤٥.
- (٢٦) نفس المرجع: ٢٤٦.
- (٢٧) M. A. Inan: I/310.
- (٢٨) س ١٠. سالم: تاريخ المسلمين و آثارهم في الاندلس، بيروت، ٢٠٤: ٢١٩٦٢.
- (٢٩) Reinaud: 4.

- المقرى : ٣١٠/١ : (٣٠)
- Aschbach: Geschichte der Omajadan in Spanien: 1829: I/131. (٣١)
- Murphy: History of the Mohametan Empire in Spain: 1916: 84. (٣٢)
- Schott: History of the Moorish Empire in Europe: I/409. (٣٣)
- نقله ليثي بروفنسال من ابن حيان ومن المحتمل غيره في الرواية (٣٤)
- المقرى : ٣١٠ ، ٣٩/١ : (٣٥)
- ليثي بروفنسال . ٧٩ . (٣٦)
- ابن الاثير : ١٠٨/٦ ، ابن عذارى : ٦٩/٢ . (٣٧)
- M. A. Inan: Decisive Moments in the History of Islam: 73. (٣٨)
- R. Menéndez Pidal: La Chansou de Roland, Madrid: 189. (٣٩)
- أخبار مجموعة من مصنف مجهول . ميدرد ، ١٨٦٧ ، ١١٣ ، (٤٠)
- س — ١ — سالم : ٢٠٤ . (٤١)
- المقرى : ٣١١/١ : (٤٢)
- أخبار مجموعة : ١١٤ : (٤٣)
- ولا نعرف تاريخ الميثاق هذا لعله في سنة ٧٨ من الميلاد . (٤٤)
- Rosenthal: Neues Archir, Berlin: 444-45. (٤٥)
- Schott: I/409. (٤٦)
- ابن خلدون : ٢٧٦/٤ ، ابن سعيد : المغرب ، القاهرة ، ١٩٦٣ م (٤٧)
- ٤٠/١ ، ابن عذارى : ٧٢/٢ . كلهم قالوا : لزريق لابن شاولان .
- Inan: Moorish Empire: I 237. (٤٨)
- ابن خلدون : ٢٧٦/٤ : (٤٩)
- Reinaud: 107-8. (٥٠)
- F. J. Peraz de Urbel: España Cristiana, Madrid: 439. (٥١)
- نفس المرجع . (٥٢)
- لقد اختلف ابن خلدون برينوني هذا الامر (٥٣)
- Inan: Moorish Empire: I/238. (٥٤)
- Reinaud: III: 2. (٥٥)
- نفس المرجع : ١١٤ . (٥٦)
- Inan: Moorish Empire: 262. (٥٧)
- ابن حيان : القتبس . مخطوطة في جامع القرويين ورق . ١٨٩ (٥٨)
- Reinaud: 119-20. (٥٩)
- كما في رقم ٥٧ . (٦٠)
- Léve Provençal: España Musulmana: 141, 178. (٦١)
- ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، بيروت ١٩٥٧ م : ٩٢ . (٦٢)
- انظر رقم : ٦١ (٦٣)

- (٦٤) ابن حيان ، المقتبس . ورق ٢٢١ ب ، ابن عذاري : (١٠٨/٢) ،
ابن الخطيب الاعمال — ٢٣ ، ليثى بروفنسال : Espana Musulmana :
المسعودى : ٧١/٣
- (٦٥) Inan: Moorish Empire: II: 424.
- (٦٦) Reinaud: 126.
- (٦٧) ابن حيان برواية المقرئ : ٣٤٣/١ .
- (٦٨) Murphy: 101: ؛ Inan: Moorish Empire: II: 415.
- (٦٩) ابن خلدون : ١٠٠/٤ — ٣٠٩ .
- (٧٠) ابن خلدون : ٣١٠/٤ .
- (٧١) S.M. Imamuddin: A Political History of Muslim Spain,
Dacca: 100.
- (٧٢) المسعودى : ٧٢/٣
- (٧٣) المسعودى : ٧٢/٣
- (٧٤) Ency. Brit. 1952: XI/864. Lévi Provençal: Historia de
Espan: IV: 352-368.
- (٧٥) ابن غالب : فرحة الانفس تحقيق عبد البديع في مجلة معهد المخطوطات
١٩٥٥ م الجزء الثاني
- (٧٦) المسعودى : ٧٢/٣ — ٤٦٩
- (٧٧) يبدو أن كتابا الذى وجده المسعودى كان موجزا لتاريخ ملوك الفرنك
- (٧٨) Lewis: Masudi on the Kings of the Franks: 8.
- (٧٩) Reinaud: Muslim Colonies: 4
- (٨٠) المسعودى : مروج الذهب — القاهرة — ١٠٩٧/١
- (٨١) المسعودى : مروج الذهب — ، باريس — ١٤٩/٩
- (٨٢) شكيب ارسلان — تاريخ غزوات العرب — القاهرة ١٣٥٢ هـ : ٢٠ ،
ابن عبد المنعم : الروض المطار — القاهرة — ١٩٣٩ : ٤٤٢ ، ٢
المراكشى : المعجب : ٢٩
- (٨٣) المقرئ : ٣٢٤/١
- (٨٤) انظر رقم ٧٩
- (٨٥) ابن العربي : محاضرات الابرار و مسامرات الاخيار — القاهرة —
١٣٨٢ هـ : ٣٤٢/٢
- (٨٦) E. Hole: Andulas: Spain under the Muslims: 90-91.
- (٨٧) Lévi Provençal: L'Espane Musulmane au Xeme Siècle: 48.
- (٨٨) E. Hole: 90.
- (٨٩) نظر رقم ٨٧
- (٩٠) E. Hole: 90. Reinaud: Mus. Colo. 152.
- (٩١) هذا ما كان ممنوعاً للفرانك بل اشترك فيه المناطق الاخرى ايضا .
- (٩٢) شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب : ٢٣٦ ،
- (٩٣) Reinaud: Mus. Colo. 238.

- (٩٤) ابن حيان — أوراق : ٢٣ ب — ١٠١
 (٩٥) Reinaud: 83-85.
 (٩٦) Reinaud: 85.
 (٩٧) Inan: Moorish Empire: I/166.
 (٩٨) نفس المرجع : ١٦٧
 (٩٩) قال البعض أن الفانسو الثاني دعا شارلمان للاغارة على الاندلس انظر:
 ابن اثير : ٤٣/٦
 (١٠٠) Inan: Moorish Empire: 166-68. Reinaud: 85.
 (١٠١) Pidal: 4/179.
 (١٠٢) Inan: 170.
 (١٠٣) Dozy: Spanish Islam: 204.
 (١٠٤) Brochermann: History of the Islamic Peoples: 181.
 (١٠٥) ابن عذارى — ٥٥/٢
 (١٠٦) Inan: 128.
 (١٠٧) انظر رقم : ١٠٣ ص : ١٠٣
 (١٠٨) ابن عذارى : ٥٠. Inan: 157.
 (١٠٩) ابن خلدون : ٤/٢٦٩ ، ابن عذارى : ٥٧ ، الاثير : ٥٢/٦.
 (١١٠) Inan: 183.
 (١١١) Lévi Provençal: IV: 79.
 (١١٢) ابن عذارى : ٥٥ ، ابن خلدون — ٤/٢٦٨ ، اخبار مجموعة — ١١٠ ،
 ابن الاثير ، ٤/٣٦ ،
 العذرى : المجلد الثاني. (١١٣)
 ابن الاثير : ٤٣/٦ ، اخبار مجموعة : ١١٢ — ١١٣. (١١٤)
 Lévi Provençal: IV: 79. Reinaud: 88. (١١٥)
 Pidal: 187 ؛ Inan: 172. (١١٦)
 ارسلان : تاريخ غزوات العرب : ١٢٠. (١١٧)
 الادريسي : نزهة المشتاق روما ١٩٥٢ : ٢٥٢ : ٢٥٣ (١١٨)
 ابن الاثير ٧/٦ — ٨ ، اخبار مجموعة : ١١٢. (١١٩)
 ارسلان — الحلل السندسية . القاهرة . ١٩٣٦ : ١٣١/٢ (١٢٠)
 ابن الاثير : ٨ ؛ Lévi Provençal: IV/82. (١٢١)
 Lévi Provençal: IV, 82; Reinaud: 89. (١٢٢)
 Inan: I/174. (١٢٣)
 Lévi Provençal: 84. (١٢٤)
 نفس المرجع . (١٢٥)
 Inan: 178-79. (١٢٦)
 كما في رقم ١٢٤ (١٢٧)
 Inan: 180 ؛ Pidal: 202 ؛ Lévi Provençal: 83-84. (١٢٨)

- (١٢٩) ابن الأثير — ٨/٦
 Inan: 174. (١٣٠)
 New Ency. Isl: 604. (١٣١)
 Pidal: 193-194. (١٣٢)
 (١٣٣) اجتمع المسلمون مع الباسك و مع ذلك فشلوا في الاول و لكنهم
 نجحوا فيما بعد
 Lévi Provençal: IV: 83. (١٣٤)
 Pidal: 197. (١٣٥)
 Pidal: 177-78. (١٣٦)
 Inan: Decisive Moments: 83. (١٣٧)
 Lévi Provençal: IV: 84. (١٣٨)
 Inan: Moorish Empire: I/224; Pidal: 203. (١٣٩)
 نفس المرجع: ٢٢٨* (١٤٠)
 ابن الأثير: ١٠٨/٦ ، ابن عذارى: ٦٩/٢ (١٤١)
 Reinaud: 98-99. (١٤٢)
 Inan: I/228. (١٤٣)
 نفس المرجع: ٢٢٩ (١٤٤)
 العذرى: ٦٢ ، ابن العذارى: ٧٢/٢ ؛ Reinaud: 105 (١٤٥)
 Reinaud: 113-114; Lévi Provençal: IV: 151. (١٤٦)
 ارسلان: الحلال السندسية: ١٢٣/٢ ؛ Dozy: 131; Reinaud: 120 (١٤٧)
 ابن حيان: ٣٠٤/١٩ (١٤٨)
 Reinaud: 135. (١٤٩)
-